ورتلناه ترتيلا

الرَّتَل مجموعة من الأشياء من قبيل واحد كالخيل أو السيارات أو ما يشبه ذلك . وجمعه «أرتال» والأرتال يتبع بعضها بعضا فى الحركة بحيث يتميز كل منها عن صاحبه حين يلاحقه . وإنشاء الأرتال.. وتحريكها «ترتيل» لها بحيث ينفصل بعض الأرتال عن بعض أثناء الحركة كتوالى فصائل الجند فى مسار العرض العسكرى . ولقد اعترض المشركون على نزول القرآن مرتّلا (أى مفرقا فى الزمن) . وفى ذلك يقول الله تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً» (الفرقان٣٢) . والمقصود بالترتيل هنا والله أعلم إنزال الوحى بكل مجموعة من الآيات المتعلقة بواقعة معينة بحسب زمن وقوعها ، وذلك لتقرير حكم الله في هذه الواقعة بعينها . من هنا تَفَرَّق إنزال الوحي أرتالا بتفرق الأحداث.

والمعروف أن في التشريع الإسلامي لبعض الأمور تدرجا ذا حكمة خاصة كالتدرج في تحريم الخمر ، ... وأن فيه آيات تنسخ أحكام آيات أخي كذلك كما حدث لآية الحساب عن حديث النفس في قوله تعالي : «وإن تُبْدُوا ما فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ» (البقرة ٢٨٤) . فلو أن القرآن الكريم أنزل جملة واحدة لأثار في نفس الرسول عليه الصلاة والسلام التردد والبلبلة فَتَّحَيَّر أمام الاختيار بين الأخذ بأمرين متعارضين اتضح من التفريق بينهما بالترتيل أيهما ناسخ للآخر ، ومن هنا جاءت عبارة : «كذلك لنثبت به فؤادك». ومن هنا رتَّل الله تعالي الوحي القرآني ترتيلا متواليا علي مدي ثلاث وعشرين سنة .

أما ترتيل التلاوة فالمقصود به شيء آخر وإن إتفق مع المعني الأول في قصد التوالي والتفريق ذلك أن ترتيل التلاوة يتعلق بالأصوات المتحركة من جهة وبين ظواهر المد والسكت والإدغام بغنة والوقف من ظواهر الفصل بين

أنساق المتحركات . فهذه الأصوات المتحركة ترد في التلاوة في صورة أرتال تفرق بين كل منها وصاحبه واحدة من هذه الظواهرالصامتة أو ما في حكم الصامتة . أستمع إن شئت إلي المصحف المرتل بصوت أي واحد من القراء المجيدين وستدرك عندئذ معني قوله تعالي (في سورة المزمل٤) : «وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً » . وهكذا يكون للترتيل معنيان متقاربان. وهذا المعني الأخير خاص بأحكام التلاوة .